اشتيار العسل عند الشعراء الهذليين
قراءة في سياقاته ودلالاته الشعرية

إعـداد

د . عالي بن سرحان القرشي

أستاذ مشارك – قسم اللغة العربية

كلية المعلمين بالطائف

ملخص البحث

شهر الهذليون باشتيار العسل ، وقد وقف شعرهم القديم عنده، واتخذه الشعراء حكاية جاءت مقترنة بتذوق ثغر المرأة ، وقد ظهر في تلك الحكاية موقع مكان العسل في الجبال العالية، في صخور يصعب الوصول إليها ، مما هيأ لهذا الشعر إظهار المغامرة ، وانتصار الإرادة.

ولقد رأى البحث أن حكاية الاشتيار تأتي في سياقات ثلاثة : إما مع ثغر المرأة ، وإما معه مقترناً بحكاية الخمر ، وإما مجرداً عنه مقترناً بالبطولة والكرم.

وحاول البحث أن يفسر اتصال الحكاية بسياقاته ، مما قبل الاشتيار من الأطلال ، والصرم، والاستسلام للحب، وما بعده من الافتخار بنيل العزيز اللذيذ أو التسامي في الحب، أو ذكر عوادي الزمن والصبر لها. حيث كشف عن ظلال ذلك في النص سياقا ولغة ، فأشار إلى صور الموت وارتباطها بخلاء الديار ، وفجيعة الوقوف ، وفقد الحب ، وانتصار الإرادة ، وأشار إلى سريان لغة الموت في هذه الحكاية ، وحاول أن يفسر ورود هذه الحكاية بضمير الغائب، وعدم مصاحبة هذه الحكاية لرحلة الشاعر على ظهر الناقة ، وما يرتبط بهذه الرحلة من حكاية ثور الوحش أو بقرته أو حمار الوحش أو النعام.

لقد شهرت هذيل باشتيار العسل ، وتغنى شعراؤها ببذل الجهد في الوصول إلى أصفاه، وقدم شعرهم لنا حركة خاصة بذلك العالم المقترن بالتضحية واللذة . وقد أورد ابن قتيبة من ذلك قدراً منسوباً لعدد من الشعراء ، وأكثر ما ذكره كان لشعراء هذيل . ولم يخرج عنهم إلا بذكر المسيب بن علس والنابغة الجعدي.(١)

ووقف على ذلك أحمد كمال زكي ، فقال، (نجد بعض شعر هذيل حافلاً بهذا الاشتيار منصرفاً له ، حريصاً على تسجيل ما يدور حوله من مخاطر ومتاعب) (٢)، ووقفت نورة الشملان على ذلك عند أبي ذؤيب مبينة أن منظر اشتيار العسل من المناظر المألوفة في بيئة الشاعر، فلا عجب أن يتأمل النحل ويسجل حركاته، ويصور المشتار، ويترجم أحاسيسه وهو يهم بتسلق الجبل والحصول على ما يريد. (٣)

أما محمد بن سليمان السديس ، فوقف على ذلك في بحثه الموسوم بـ (وصف اشتيار العسل في بضعة نصوص من شعر هذيل) (٤) ، مبينا أن هذا الموضوع مثال ناصع الإيحاء بأثر المحيط الجغرافي وبتفاعل الشاعر مع مجتمعه ، ومع مظاهر الطبيعة. (٥)

وقد عرض الدكتور محمد أحمد بريري لاشتيار العسل في كتابه "الأسلوبية والتقاليد الشعرية –دراسة في شعر الهذليين" في الفصل المعنون بـ "الخمر والمرأة" وقد شغل بمقترنات العسل من الخمر والماء والمرأة، وبدلالات اللغة التي تترامى ما بين هذه الأمور، وتتواشج.

ونبه إلى أن إضافة عنصر عسل النحل واشتياره إلى موضوع الخمر وثغر المحبوبة ليس مما تقنع فيه أي قراءة جادة بالمعنى المباشر الذي يفسر ذلك الغرض بأنه وصف لطيب ثغر المحبوبة (٦) . وعلى الرغم من تأكيده على أن ورورد حكاية الاشتيار ليس استطراداً وأن مافي النص الشعري من هذه المقترنات عالم متصل لا تنفصل فيه المرأة عن الخمر أو العسل(٧)، إلا أنه لم يعن بسبب تنوع حكاية الاشتيار في هذه المشاهد واختلاف بنية كل نص عن النص الآخر.

وأما الدكتور جريدي المنصوري ، فقد عرض للاشتيار في بحثه المعنون بـ "مشهد النحل في شعر الهذليين" (٨)، حيث عني بموضوع النحل عموما، وعرض في سياق ذلك للمشتار، مشيراً إلى صفات المشتار، وقصة الاشتيار عند الشعراء الهذليين، وعلى الرغم من أنه أشار إلى أن مشهد النحل في شعرهم يقدم لوحات ذات ثراء وتنوع،(٩) إلا أنه لم يتوقف عند أسباب تنوع صورة الاشتيار ، ولم يقرن ذلك الاختلاف بسياق الصورة.

ولا يتسع المجال – الآن – لتتبع جميع من عني بذلك ، إذ كان الاشتيار محل عناية كثير من الباحثين الذين عنوا بالشعر القديم عامة ، أو أولئك الذين عنوا بشعر الهذليين خاصة. (١٠)

ولقد كانت هذه الوقفات على اختلافها ، حافزة الباحث على النظر في هذا الموضوع على نحو مختلف، يجعله يعاود النظر في الدلالات الشعرية للعوالم المتداخلة في حركة الاشتيار ، وباعثها الشعري ، من خلال تأمل السياق الذي تأتي فيه هذه الحركة ،ولذلك سيقوم البحث عن ذلك على محورين هما :

- سياقات الاشتيار.
- دلالاته الشعرية.

سياقات الاشتيار

عرف العربي لذة العسل ، وذاقها ، وجاء القرآن الكريم مشيرا إلى ذلك ، وجاعلاً إياه من نعيم الجنة ، قال تعالى (مَثَلُ الجنة التي وُعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسُقوا ماءً حميماً فقطَّع أمعاءهم). (١١) {محمد١٥}

وكان العسل من اللذائذ التي يستحضرونها حين يذكرون ثغر المرأة ، فهذا المرار بن منقذ يقول: (١٢)

وإذا تضحك أبدى ضحكها　　　أقحوانا قَيَّدَتْهُ ذا أَشَرْ

لو تطعَّمت به شبهته   عسلاً شِيب به ثلج خَصِر

وعبيد بن الأبرص يقول: (١٣)

تُدْفي الضجيع إذا يشتو وتُخصِرُه   في الصيف حين يطيب البرد للصاحي
تخال ريق ثناياها إذا ابتسمت   كمزج شهد بأُتْرُجٍّ وتفاح

وأحياناً يكون هذا العسل مكمن الشوق الذي يستحث النظر ، كما في قول الشماخ :(١٤)

كأن عيون الناظرين يشوقها   بها عسل طابت يدا من يشورها
تناولن شوباً من مجاجات شُمَّذ   بأعجازها قبٌّ لطافٌ خصورها

وأما الهذليون ، فأضافوا لهذه اللذة صياغات شعرية ، تهب هذا العسل حضوراً شعرياً يمتزج بالفعل الإنساني ،وبنيل اللذة بعد الجهد ، وبجعل اللذة فريدة ذات طعم مختلف ..

وأشارت بعض الأبحاث حين عرضت للاشتيار في شعر الهذليين إلى واقعية هذا الشعر، فأحمد كمال زكي يرى أن انصراف الهذليين إلى مغامرات الاشتيار لأنه (يهيء لهم لونا من الاستقرار لم يكونوا يجدونه في الرعي مثلاً. قل إنه كان بابا إذا مروا منه لم يعترضهم أحد ، ثم قل إنه ما هيأتهم الحياة له ، ومن هنا انصرفوا إليه ..هكذا يقول شعرهم ، وهذا ما يقرره وجود النحل في هذه المنطقة) (١٥) فهو يتخذ الشعر دليلاً على هذه المهنة التي امتازوا بها.

ويعد نصرت عبد الرحمن المشتار من أصحاب المهن(١٦) ، ويذكر الاشتيار في قسم الواقع في شعر أبي ذؤيب (١٧) ، وكانت تفصيلات محمد السديس لما يقوم به المشتار تتجه هذه الوجهة ، لأنه يرى بداهة (أن يندر بدو أثر في إنتاج أدبي لمظاهر طبيعية ، أو غير طبيعية ليست بادية في محيط منتجه). (١٨)

ولقد كان اشتيار العسل فعلاً من أعمال هذيل ، ومن مجالات مغامراتهم ، وإذا كان الدكتور جريدي المنصوري يشير إلى أن حركة الأفعال للمشتار تعطي اهتماماً ببيان الممارسة الفعلية لهذه المهنة (١٩) فكان لوجوده الشعري لذلك يتعالى عن أن يكون وصفا لمهنة يكتسب منها الزرق وهو ماحدا بالباحث إلى أن يشير أن هناك فلسفة تختفي وراء هذا الواقع(٢٠) ذلك لأن الاشتيار حركة شعرية بجسد الشعراء من خلالها مثلاً من أمثلة المكابدة العنيفة التي تصاحب تطلع الإنسان إلى غايات أعلى من نيل العسل (٢١) ولكي نجلى ما يمكن تبينه من عوالم تشير

إليها حركة المشتار في شعر الهذليين ، تظهر في سرد هذه المغامرة ، التي تقرن فيها الأمنية بالجهد، واللذة بالنصب ، والفرادة بالبعد المكاني ، سنقف على السياقات الشعرية التي تأتي فيها حركة هذه المغامرة ، حيث يأتي ذلك في :

١- سياق لذاذة ثغر المرأة .
٢- سياق الثغر مع حكاية عن الخمر .
٣- سياق ذكر الفتوة والبطولة .

١- سياق لذاذة ثغر المرأة :

مثل عامة الشعر العربي ، يأتي شعر الهذليين مشيراً إلى استحضار لذاذة العسل عند الحديث عن لذاذة ثغر المرأة – حين يرى الشاعر ذلك – وقد يأتي ذلك مقترنا بمزج آخر مثل قول أبي صخر: (٢٢)

كأن ذوبَ مُجاج النحل ريقتُها   وما تضَّمنُ أجوافُ الرواقيد
كالكأس ما ركدت لم يصح شاربها   وقال أن نَفَدَت ياكأسَنا زيدي

وأحياناً يكون ذلك الاستحضار لحديثها مقترنا بذكر لبن النوق ، مثل قول أبي ذؤيب (٢٣) :

وإن حديثا منك لو تبذلينه   جنى النحل في ألبان عوذ مطافل

وتجد العسل عند الهذليين يكون صفة اللذائذ التي تصاحب الصبا والنضارة ، فهذا أبو صخر يقول: (٢٤)

أخوا صفاءٍ فارقا ببشاشة   وبشُورة من عيشنا وفواضل
ولذائذ معسولة في ريقةٍ   وَصِباً لنا كدجان يوم هاطل
وعنائب غَذَوِية تندى ضحى   وغياطل للهو بعد غياطل

ولا يقنع بعض الشعراء بهذه المشابهة ، بل يضعون لهذا العسل البالغ اللذاذة وجوداً شعرياً، يصنعون له حكاية في مكانه ،وحكاية في اشتياره ، وحكاية في مزجه .. فالحكاية لا تأتي للعسل في ذاته ، فهي (تأتي في معرض الحديث عن طيب ريق المحبوبة) (٢٥) ، فهي للعسل الذي يشبه هذا الثغر ، وهذا الذي ذاقه الشاعر ، أو يروم أن يذوقه عند محبوبته، حيث تنبئ الحكاية التي يسردها الشاعر ضمن ما تنبئ عنه ،

عن صياغة جودة ، وفرادة لذاذة لهذا العسل الذي يمتزج بثغر عشيقته ، فأبو ذؤيب بعد أن يبدأ في الإشارة إلى العسل بقوله: (٢٦)

وما ضَرَبٌ بيضاءُ يأوي مليكها   إلى طُنُف أعيا براقٍ ونازل

ويرسم مكانه في شاهق عسير المنال ، يسرد قصة المشتار في الوصول إلى هذا العسل، ونيله ، ومزجه بماء صاف ، ليكمل بعد عدة أبيات طرف الجملة التي بدأت بـ (ما) في قوله "وماضرب" بـ " بأطيب من فيها" في قوله :

بأطيب من فيها إذا جئت طارقا   وأشهى إذا نامت كلاب الأسافل

لنجد أن هذا الأمر المسرود علينا داخل في رسم فرادة هذا العسل المقترن بلذاذة ثغر المرأة.

وساعده بن جُؤَيَّة ، يذكر ثغر المرأة ، مرتين قبل بدء السرد وبعد نهايته، (٢٧) فهو يقول ابتداء:

وُمَنَصَّبٌ كالأُقْحُوَان منَطَّق   بالظَّلم مصلُوت العَوَارض أشْنَب
كسلافَة العنبِ العَصِير مزاجُه   عُودٌ وكافور ومسك أصْهَب
خَصِرِ كأن رضابه إذ ذُقتُه   بعد الهدوِّ وقد تعالى الكوكب
أَرْيُ الجوارس في ذؤابة مُشْرِف   فيه النسور كما تَحَبَّى المَوْكب

ثم تتابع أجزاء الحكاية .. ليقول في النهاية:

فكأن فاها حين صُفيَ طَعْمُه   واللهِ أو أشهى إليَّ وأطيب

فهو قد جعل الحكاية مرتبطة بالثغر ، لم يذهب إلى العسل إلا ليعود إليه. وفي نص آخر لساعدة(٢٨) ، نجده بعد أن سرد حكاية المشتار بعد قوله:

وما ضَرَبٌ بيضاءُ يَسْقِي دبوبَها   دُفَاقٌ وعَروانُ الكراث فَضيُمها

يقول في النهاية :

فذلك ما شبهت فا أَمِّ مَعْمَر   إذا ما توالي الليل غارت نجومها

٢- سياق الثغر مع حكاية عن الخمر:

لا يفترق ذكر اشتيار العسل هنا عن ثغر المرأة ، ولكنه يصحب هنا بسرد آخر ، عن الخمر التي تمزج به ، فتكون لها صياغة أخرى مثل صياغة العسل ، وذلك في مثل

قول أبي ذؤيب:(٢٩)

وأُقْسِم ما إن بَالَة لَطَمِيُّة   يفوحُ بباب الفارسيّين بابها
ولا الراحُ راحُ الشام جاءت سبيئة   لها غاية تهدي الكرام عُقَابها
عُقَار كماء النّيءِ ليست بِخمْطَةٍ   ولا خَلَّة يكوي الشروب شهابها

ثم تمضي الحكاية للخمر ، وللعسل ، ليقول :

فَأَطْيِبْ براح الشَّأْم صِرْفا وهذه   مُعَتَّقَةً صهباءَ وَهْيَ شِيَابَها
فما أن هما في صحفة بارِقيَّة   جديدٍ حديث نحتُها واقتضابُها
بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً   من الليل والتَفَّتْ عليَّ ثيابها

ومن هذا ما سرده أبو ذؤيب عن مسيرة الناقة بالخمر ، وطوافها بأماكن التجمع والحج ، ليذكر مزجها بالعسل ، يقول (٣٠)

فما فضلة من أَذْرِعَات هَوَت بها   مذكّرة عَنْس كهادية الضَّحل
سلافةُ راح ضُمِّنتها إدَوَاة   مُقَيِّرة رِدْفُ لمؤخرة الرحل
تزوَّدَها من أهل بصرى وغزة   على جَسْرة مرفوعة الذيل والكفل
فوافي بها عسفان ثم أتى بها   مَجَنّه تصفو في القلال ولا تغلي
وراحَ بها من ذي المجاز عشيَّة   يبادر أولى السابقات إلى الحبل
فجئن وجاءت بينهن وإنه   ليمسح ذفراها تَزَغَّم كالفحل
فجاء بها كيما يوفي حَجَّه   نديم كرام غيرُ نِكْسٍ ولا وغل
فبات بجمع ثم تمَّ إلى منى   فأصبح رادا يبتغي المِزج بالسحل

ثم تأتي حكاية العسل قصيرة ، ثم يقول عنهما (الخمر والعسل):

فما إن هما في صحفة بارقية   جديد أرقت بالقَدُوم وبالصقل
بأطيب من فيها إذا جئت طارقا   ولم يتبين ساطعُ الأفق المجلي
إذا الهَدَف المعزاب صوَّب رأسه   وأمكنه ضَفْو من الثَّلَّة الخُطْل

ونجد في شعر أبي صخر إشارات قصيرة إلى هذين المزجين ، فمن ذلك قوله: (٣١)

تطيب ولو بالماء نشوةُ جلدها   إذا ما استحمت والقلائد والنشر
لها أرج في البيت يَشْفي من الجَوى   لذيذ إذا لم تَبْدُ لم يخفها الستر
كأن على أنيابها من رضابها   وقد دنت الشِّعرى ولم يصدع الفجر
وبلّ الندى من آخر الليل جيبها   إذا استوسنت واستثقل الهَدَف الهدر
مجاجةَ نحل من قَراسَ سبيئةً   بشاهقة جَلْس يزل بها الغُفْر
باسفنطِ كَرْم ناطف زَرَجونة   بعقب سَرَى جادت به مُزُن قمر
جمعن معاً في صحفة بارقية   فصفي ذوبا شبّ نشوته الخمر
فتلك الهوى ما عشت والشوق والمنى   وفيهن ما عشت الملاذة والختر

٣- سياق ذكر الفتوة والبطولة :

من البدهي أن السياقين السابقين لا يخلوان من هذا الملمح ، لكن هناك نصاً وحيداً لدى الهذليين يجعل قصة المشتار منفصلة عن ثغر المرأة ، وهو نص أبي ذؤيب الذي يقول في أوله: (٣٢)

وأشعَث ماله فَضَلات ثَولٍ   على أركان مَهْلَكَةٍ زهوق
قليلٍ لحُمه إلا بقايا   طفاطفِ لَحْمٍ منحوضٍ مَشيق

وبعد أن يسرد حكايته يشير إلى ما يرافق ذلك من حاملات طعامه ، وسلاحه الماثل في قوسه.

وقبل أن نختم حديثنا عن هذه السياقات نود الإشارة إلى أمور تتجلي في شعر حركة المشتار في هذه السياقات حيث يبدو في ذلك ما يلي:

١- أن من النصوص ما يأتي مقصوراً على سرد حركة المشتار يبتدئ بها ، وينتهي عندها ، كما في نص أبي ذؤيب:

وأشعَثَ مالُه فضلاتُ ثَوْلٍ   على أركانَ مَهْلكَــــة زهوق

ونص ساعدة بن جُؤَيَّة :(٣٣)

وما ضَرَب بيضاءُ يسقى دبوبَها   دُفَاق وعروان الكَرَاث فضيمها

٢- يجاور في بعض النصوص التي تأتي فيها حركة المشتار ، أو الإشارة إلى الاشتيار ، امتدادات أخر مثل نص أبي ذؤيب: (٣٤)

ألا زعمت أسماءُ أن لا أحِبّها   فقلت بلى لولا ينازِعُني شغلي

ففي هذا النص تسبق الإشارة إلى الاشتيار ، امتدادات عن الظبي الذي تشبه به المرأة ، تتابع شكله ، ومرعاه ، وحذره ، وامتدادات عن كرمه ، وجزر ناقته لذلك ، ثم رحلة الخمر ومجيء الناقة بها.

ومثل نص ساعدة: (٣٥)

هجرت غَضُوب وحُبّ من يتجنب   وَعَدتْ عَوَادٍ دون وَلْيك تَشْعَب

حيث يأتي في هذا النص إضافة إلى سرد حركة المشتار امتدادات عن الشادن ، ثم حلف بالهدي على حبها ، ثم متابعة البرق والسحاب ، ثم يأتي بعد الاشتيار إشارة إلى تخرم الدهر للأنس ، ولحكماء الرجال ، ثم حديث عن الجيش والفرسان.

٣- أن من النصوص ما يبدأ بذكر الأطلال ثم المرأة ثم الانتقال إلى حركة المشتار والاقتصار على ذلك مثل نص أبي ذؤيب. (٣٦)

أساءلت رسم الدار أم لم تسائل   عن السَّكْن أو عن عهده بالأوائل

ومثل نصه : (٣٧)

أبا الصُّرم من أسماء حدثك الذي   جرى بيننا يوم استقلت ركابها

حيث انتقل من الحديث عن الصرم ، وحذر الهجر إلى حركة المشتار واقتصر على ذلك ، والحديث إليها.

٤- أننا لا نجد في النصوص التي تأتي فيها حركة الاشتيار في شعر الهذليين أي سرديات تتعلق بحركة امتطاء الشاعر الناقة أو ما يصاحب ذلك من امتدادات لثور الوحش أو بقرته أو الحمار الوحشي أو النعام. وقد تذكر فيها الناقة في مقام الكرم بجزرها، كما أشرنا

سابقا في رقم (٢).

٥- أن سرد حركة المشتار يتم بضمير الغائب فقط ، ولا يستخدم فيه ضمير المتكلم إطلاقاً، في جميع النصوص الواردة في شعر الهذليين ، التي ضمها ديوانهم الذي اعتمد عليه البحث في الدراسة .

وسنؤمئ إلى شيء من الدلالات الشعرية لهذه الأمور في المحور التالي .

دلالاته الشعرية

لكي نتفحص هذه الدلالات لابد من تأمل علاقاتها بوحدات النص ، ولذلك سنشير إلى ما يتراءى في النصوص قبل الاشتيار ، ثم ما يبدو فيها أثناء الاشتيار ، ثم ما يلي ذلك، لكي نترسم ما يرومه الشاعر من دلالات، وهو يستدعي حركة الاشتيار في نصه، عبر تأمل ترابطات وحدات نصه بهذه الحركة.

ما قبل الاشتيار :

سبقت الإشارة إلى أن حركة الاشتيار ترتبط بثغر المرأة ، ماعدا ذلك النص الوحيد لأبي ذويب (٣٨) الذي أشرنا إليه سابقاً، وإذا كانت المرأة في الشعر القديم يأتي التودد إليها، والشكوى من وصالها في بدء النص أو بعد الإشارة إلى الأطلال ، فلقد كان شعر الهذليين كذلك، نجد فيه هذه النصوص فيما سبق الاشتيار تتردد بين حالين ، حال العفاء والسكون في الأطلال ، وحال الحذر من الصرم ، ففي نص أبي ذؤيب: (**٣٩**)

أساءلت رسم الدار أم تسائل عن السَّكْن أو عن عهده بالأوائل

نجد النص يستثير سكون الذهن ، ويستدني وعيه بفجيعة سكون هذا الطلل ، ليكون المخاطب في حال تيقظ لهذا الذي يراه : ليقول بعد ذلك :

عفا غير نؤي الدار ما إن تبينه   وأقْطاع طُفْيٍ قد عفت في المعاقل
لمن طلل بالمنتصىَ غيرُ حائلِ   عفا بعد عهد من قِطَار ووابل
عفا بعد عهد الحي منهم وقد يرى   به دَعْسُ آثار ومبرَكُ جَامِل
وأن حديثا منك لو تبذلينه   جَنَى النحل في ألبان عُوذ مطافل
مطافيل أبكار حديث نتاجها   تشابُ بماء مثلِ ماءِ المفاصل
رآها الفؤاد فاستضل ضلاله   نيافا من البيض الحسان العطابل
فإن وصلت حبل الصفاء فدم لها   وإن صَرَمَتْه فانصرف عن تجامل
لعمري لأنت البيت أكرم أهله   وأقعُدُ في أفَيائِه بالأصائل

حيث ينهض أمامنا الوعي بفجيعة هذا الطلل لما حل به من عفاء ، فلم يبق منه إلا آثار تثير الحسرة على الوجود الإنساني الذي كان به ، وما يقترن به من حب ليقوم بعد ذلك الود المرجو من هذه التي تتمنع عليه ، التي يرى في حديثها جنى النحل الممزوج بلبن النوق في أول نتاجها ، ثم يقيمنا النص في حال من اتخاذ موقف بين دوام الوصل أو الصرم ، مع اقتران ذلك بالعزة والكرامة ، مع إن ما وضعنا النص فيه من حال هذا القلب يجعلنا نعي صعوبة الصرم الذي يضعه لعزة نفسه.

لقد نما هذا الحب من هذه الذاكرة التي وقفت على فجيعة الطلل ، فكان ذلك هو الانتصار الإنساني على العفاء ، لتأتي الإشارة إلى العسل واللبن والماء مثيرة حيوية الحياة ، ومشيرة إلى حيوية العاطفة الإنسانية ، وتحريض إرادهما على الانتصار على عوائق العفاء ، والصد، والحرمان.

وفي نص آخر لأبي ذؤيب، نجده يبتدئ من فجيعة انقطاعها، حيث يقول:(٤٠)

أبالصرم من أسماء حدَّثَك الذي   جرى بيننا يوم استقَّلت ركابُها
زجرتَ لها طيرَ الشمال فإن تُكن   هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها
وقد طُفْتُ من أحوالِها وأردتُها   سنين فأخشى بعلها وأهابها

ثلاثَةَ أحوال فلما تَجَرَّمت   علينا بهون واستحار شبابها
عصاني إليها القلب إني لأمره   سميع فما أدري أرشد طلابها
فقلت لقلبي يالك الخير إنما   يدليك للموت الجديد حِبابها

وهنا نجد أن الشاعر يقيمنا أمام فجيعة رحيل هذه المحبوبة ، وانقطاعها ، ثلاثة أحوال ، وأن الحال بعد ذلك هو في هذا القلب الذي يعصاه ويطلبها ، على الرغم من العوائق التي تحيط بحبها من خوف بعلها ، وهيبتها ، ثم وضع ذلك الحب في موازين الرشد والعقل. ويأتي البيت الخاتم لهذا المقطع مشيراً إلى إرادة قهر الحب للموت ، حيث نقف على صورة التدلي للموت بسبب هذا الحب ، وهنا تلوح في الذهن حبال المشتار التي يتدلى بها ، وسنؤجل الحديث عن هذا الترابط إلى حين.

وفي نص لساعدة بن جؤية نجد الإلحاح على الوصل على الرغم من العوادي يقول: (٤١)

هَجَرَت غَضُوُب وحُبَّ من يتجنَّب   وعدت عواد دون وَلْيِك تَشْعب
ومن العوادي أن تقيك ببغضة   وتقاذُفٍ منها وأنك تُرْقَب
شاب الغراب ولا فؤادك تارك   ذكر الغضوب ولا عتابك يُعْتب
وكأنما وافاك يوم لقيتها   من وحش وجرة عاقد مُتَرَبَّب
خَرقُ غضيض الطرف أحورُ شادن   ذو حُوَّة أُنُفُ المَسَارِب أخطب
بِشَرَبَّةٍ دَمِثِ الكثيب بِدُورِه   أرطَى يعوذُ به إذا ما يُرْطَب
يَتَقِي به نَفَيَان كلَّ عَشِيَّةٍ   فالماءُ فوقَ مُتُونه يتصبَّب
يَقْرو أبارِقه ويدنو تارةً   لمدافئ منها بهن الحلّبُ
أني وأيدِيها وكلِّ هَدِيَّة   مما تَثُجُّ لها ترائب تثعب
ُومقَامِهِن إذا حُبِسْن بمأزم   ضَيْق أَلَفَّ وصدَّهن الأخشب
حلف امرئ بر سَرِفْتِ يمينَه   ولكلَّ ما تبدى النفوس مُجَرَّب
أني لأهواها وفيها لامرئ   جادت بنائلها إليه مرغب

ولقد نهيتُك أن تكلَّف نائيا   مِنْ دُونِه فوتّ عليك ومطلب

ففي هذا البدء تجد الإصرار على الوصل على الرغم من إحاطة عوادي البعد وعدم تقبل العتب ، وتجد النص يمتد بهذه "الغضوب" في صورة ذلك الشادن الذي تتمثل فيه بهجة الحياة ونضارتها ، يستقبلها ، وينتزعها في مرعاه من العوادي ، فهو يتقي المطر ، والبرد ، ويترع إلى الدفء .. ليعود إلى الإصرار على ذلك الحب ، حيث يقسم بالقربات التي تقدم في منى على حبها ، مشيراً إلى إصرار قلبه على تجاوز دواعي التعقل والنهي عن تكلف هذا الأمر الشاق في حبها..

ثم ينتقل الحديث إلى برق يراه من جهتها يبدؤه بقوله : (٤٢)

أَفَعَنْكِ لا بَرْق كأن وميضَه   غاب تشيَّمَه ضرام مُثْقَبُ

متسائلاً هل هذا الضوء الذي يراه هو منها وليس برقا (٤٣) ، ليتحدث عن البرق والمطر في أبيات طويلة ، نخشى الإطالة بإيرادها ، نرى فيها صورة لانتزاع الحياة من عوادي العفاء ، ومن عوادي الموت في السيل ...

عالم الاشتيار :

وإذا انتلقنا مع الشعراء في حركة الاشتيار وجدنا في نص أبي ذؤيب :

أساءلت رسم الدار أم لم تسائل   عن السَّكْن أو عن عهده بالأوائل

الذي أشرنا إلى ما فيه قبل الاشتيار ، وجدنا فيه قوله: (٤٤)

وما ضَرَب بيضاءُ يأوي مليكها   إلى طُنُف أعيا براق ونازل
تُهال العُقاب أن تمَّر برَيْدِه   وترمى دُرُوء دونه بالأجادل
تنمى بها اليعسوب حتى أقرَّها   إلى مألف رَحْب المباءة عاسل
فلو كان حبل من ثمانين قامةً   وتسعين باعاً نالها بالأنامل

تدلَّى عليها بالحبال مُوَثَّقا   شديد الوصاة نابل وابن نابل
إذا لسعتْهُ النحل لم يَرْجُ لسعها   وخالفها في بيت نُوب عوامل
فحطَّ عليها والضلوعُ كأنَّها   من الخوف أمثال السِّهام النواصل
فشرجها من نطفة رجبية   سُلاسِلة من ماء لِصْب سُلاسل
بماءٍ شِنان زعزعت مَتْنَه الصَّبا   وجادت عليه ديمة بعد وَابِل
بِأَطْيَبَ من فيها إذا جئتُ طارقا   وأشهى إذا نامت كلاب الأسافل

نجد النص يشير إلى المكان الشاهق الذي يقع به عسل النحل ، فهو مكان عسر محاط بالموت ، تخاف هوله العقاب ، وتقع دونه الصقور .. وهذا المكان بهذا المحيط يكاد يكون أمراً مشتركاً لمكان العسل في شعر الهذليين ففي نص آخر لأبي ذؤيب ، نجد هذا المكان يشق حتى على النحل في التصعد إليه ، حين يقول : (٤٥)

بِأَرِي التي تأري اليعاسيبُ أصبحت   إلى شاهق دون السماء ذؤابها
جوارسُها تأري الشُّعوفَ دوائبا   وتنصبُّ ألهابا مصيفا كِرَابها
إذا نَهَضَت فيه تصعَّد نفَرها   كقِتْر الغِلاء مستدراً صيابها

ويشير ساعدة إلى نبو العقاب عن هذا المكان حين يقول : (٤٦)

صَبَّ اللهيف لها السُّبوبَ بِطَغْيَةٍ   تُنْبي العُقابَ كما يُلَطَّ المِجْنَب

فهذا المكان مهلك ، لا تثبت عليه الأحياء التي تبلغه كما يقول أبو ذؤيب : (٤٧)

وأشعثُ مالهُ فضلات ثَوْل   على أركان مَهْلِكة زهوق

أو كما يقول أبو صخر: (٤٨)

مجاجة نحل من قراس سبيئة   بشاهقة جَلْس يزل بها الغفر

ولعلنا حين نقرن لذاذة العسل ، والحرص عليه ، بهذا المكان المخيف ، نتبين فيه الإصرار على انتزاع المبهج اللذيذ من بين براثن وأهوال الموت.

أما هذا المشتار الذي ينال العسل ، فإن النص يضعه في مهالك الموت ، ويحرص النص ألا يقيم حياة غير حياته وحياة النحل في هذا المكان ، فالعقاب لا تمر والصقور تملك دونه وهو كما يقول ساعدة : (٤٩)

رأى عارضا يهوي إلى مشمخرة   قد أحجم عنها كل شيء يرومها

وكأن المشتار كما يشير نص أبي ذؤيب صورة أخرى لهذا المكان ، يحيط به الهلاك ، يخشاه ، ليس له رابط بالحياة إلا هذا الحبل ، وهذه الإرادة القوية ، فكأن هذه الإرادة هي الحبل الذي يربطه بلذاذة العسل المرتبطة ببهجة الحياة .. ذلك الحبل الذي يكون عند أبي ذؤيب في نص آخر ، حبل المنية : (٥٠)

فأعلق أسباب المنية وارتضى   ثُقُوفَتَة إنْ لم يخنه انقضاها

ويحرص الشعراء في صورة المشتار على إظهار حال الخوف ، وحال من الصغر يحسه المشتار أمام هذا الهول السحيق الذي ينحدر إليه فإذا كانت الصورة مجلية لضلوعه التي تبدو كأنها السهام المنقطعة في صورة أبي ذؤيب :

فحطّ عليها والضلوع كأنّها   من الخوف أمثالُ السهام النواصل

فإنه في صورة لساعدة "لقا يتذبذب" وَ "خَلَق" في قوله :

وكأنه حين استقل برِيدها   من دون وَقْبَتها لَقاً يتذبذب
فقضي مشارته وحطَّ كأنه   خَلَق ولم ينشب بها يَتَسَبْسَبَ

ويظل المشتار يقاوم ما يحيط به ليصل إلى العسل ، فبعد أن جاوز هول الموت وقرب من العسل أصبح لا يخشى لسع النحل ، وأحياناً يطرد النحل بالدخان مثل ما يشير أبو ذؤيب: (٥١)

فلما اجتلاها بالإِيَام تحيَّرت   ثُبَات عليها ذلُّها واكتئابُها

وحين نعود إلى نص أبي ذؤيب "أساءلت رسم الدار أم لم تسائل" ، لنبحث

عن روابط الاشتيار بما قبله ، نجد إن جنى النحل قد استحضر في التودد إلى المرأة المعشوقة : (٥٢)

وإن حديثا منك لو تبذلينه　　　جنى النحل في ألبان عُوذ مطافل
مطافيلَ أبكارٍ حديث نتاجُها　　　تشاب بماء مثلِ ماء المفاصل

وبعد اشتيار العسل ، تأتي حركة المشتار التي يمزج فيها العسل بالماء ، فيأتي هذا الماء مجسداً البهجة والصفاء ، والقدرة على الوصول إلى مكانه البعيد في أعالي الجبال قريبا من العسل ، على نحو ما يشير أبو ذؤيب في هذا النص وعلى نحو ما يرد في نص ساعدة حين يقول: (٥٣)

فأزال ناصحها بأبيض مُفْرَطٍ　　　من ماء ألهاب عليه التْألَب

فكأننا بهذا الماء الذي ينقلنا إليه الشعراء ، نصطحب حركة الاشتيار في الاختيار والوصول إلى الصافي المبهج ، إذ يأتي هذا الحديث الذي يمتد إلى الماء مانحا هذا العسل ما يذكي لذاذته، وما يثير النشوة حين يكون هذا الماء مورداً بارداً بعيداً عن ارتياد الناس.

فنجد هذه الصورة المرجوة من المرأة تجلو نضارتها حيوية الحياة في العسل ،وفي امتدادته من لبن النوق ، ومن الماء ، فكأن ذلك هو الصورة المقابلة لعفاء الحياة وسكونها ، وزوال العهد القديم في الطلل .. لنقف بعد ذلك على عزم من الشاعر للأخذ بزمام المبادرة ، والتلويح بالقدرة على أن يصرم هذه العلاقة .. ليقول: (٥٤)

رآها الفؤاد فاستُضِلَّ ضلالُه　　　نِيافا من البيض الحسان العطابل

فعلى الرغم من أن الفؤاد قد هام بها ، وقد تمكنت منه ، وأنها في حال من العزة والمنعة والجمال ، فإن الشاعر لا يأنف أن يقول: (٥٥)

فإن وصلت حبل الصفاء فدم لها　　　وإن صَرَمته فانصرف عن تجامل

ليأتي بعد ذلك البيت الذي يشير إلى أنفته ، وعزته ، وتكرمه : (٥٦)

لعمري لأنت البيتُ أُكرِمَ أهله　　　وأقعدُ في أفيائه بالأصائل

لنجد أننا في حالة من انكشاف الموقف عن أحد احتمالين ، إما أن تصل فيدوم الوصل ، وأما أن ينصرف ، لتأتي إشارة الشاعر إلى البيت الكريم ، والاحتماء به ، دلالة على طلب العزة والكرامة ، فإن وصلت فلا ينال من هذا البيت ، وإن صرمت فالقطع والانصراف عن تجامل هو الذي يقيم كرامة هذا البيت ، ثم تأتي بعد ذلك حكاية الاشتيار ، لنجد أن بيت النحل الذي يقصده المشتار فيه ظلال من منعة هذه المرأة "نيافا من البيض الحسان العطابل" ، فلئن كانت النياف تعني الطول والعظم والإشراف ، فهي توحي بالبعد المعنوي في هذا العظم والطول، ليكون بعد العز والنسب ، وفيه ظلال من ذلك البيت الذي يرتضيه لحاله بين الوصل والصرم "لعمري لأنت البيت..." إذ أن بيت النحل في "طنف أعيا براق ونازل" .

وتُلْمِحُ حركة الاشتيار إلى انتزاع الحياة من براثن الموت ، ولعلها تعني الانتصار على سكون الطلل ، وعلى التمنع ، واستجلاب اللذة بالإرادة القوية الفاعلة، فالعسل في المكان المنيف المنعزل المحاط بالموت ، هو الحب الذي أحيط بالعفاء والبلاء في تلك المعاهد والديار ، والإرادة التي وصلت إلى ذلك العزيز اللذيذ، هي الإرادة التي تقوى أمام تمنع المحبوبة ودلالها، وهي الإرادة التي تتفيأ وتقتعد البيت العزيز الكريم.

ومن هنا لا تبدو حركة الاشتيار منعزلة في النص ، أو إنها جاءت لوصف الاشتيار فحسب ، فهي ليست فعلاً استطراديا ، وإنما هي ذلك الفعل الشعري الذي يصنع وجود العزيز اللذيذ ، ولذلك لا يعد استرسال الشاعر في وصف الماء الذي مزجت به العسل استطراداً ، وإنما هو صورة أخرى لهذه الإرادة المنبعثة من الصعاب ، فهو الماء الكامن في مكان منيف ، فهو في لصب ، أي شق في جبل ، وهو أيضاً الماء الذي لم يصف إلا بفعل حركه ، وزعزع متنه ، وخضع لجلبة الريح والمطر الوابل .. فكأن الشاعر بهذه الصور المتداخلة ، والحركات المتتابعة ، يقيم إرادته في الوصول إلى هذه المحبوبة ، ولذاذها وصفاء الحياة، في هذه العوالم التي تجلى الصبر والعزيمة ، ونيل

العزيز اللذيذ الصافي.

ومن هنا نجد أن الصورة المصاحبة لوقت نيل ريق المحبوبة "إذا نامت كلاب الأسافل" ، لا تأتي لبيانه فقط ، وإنما تضيف لذلك الصورة المضادة لهذا الفعل المتحرك، لذلك السكون والكسل ، والخلود إلى الراحة .. الذي تحمله هذه الصورة

وفي نص أبي ذؤيب: (٥٧)

أبا الصُّرم من أسماءَ حدثك الذي جرى بيننا يوم استقلت ركابها

نجد أن الاشتيار يسبقه حديث عن الخمر ، يقول فيه : (٥٨)

وأقسمُ ما إن بَالَةُ لَطَمِيَّة يفوح بباب الفارسيين بابها
ولا الراحُ راحُ الشام جاءت سبيئة لها غاية تهدي الكرام عُقابها
عُقَار كماء النيءِ ليست بِخَمْطَة ولا خَلَّة يكوي الشروب شهابها
تَوَّصلُ بالركبان حينا وتؤلف ألـ جوَارَ ويُغْشيها الأمانَ ربابها
فما بَرَحت في الناس حتى تبينت ثقيفا بزيزاءِ الإشاء قبابها
فطاف بها أبناء آل مُعَتَّب وعزَّ عليهم بيعها واغتصابها
فلما رأوا أن أَحْكَمَتهم ولم يكن يَحِلُّ لهم إكراهها وغِلابُها
أتوها بربح حاولته فأصبحت تُكَفَّتُ قد حلَّت وساغ شرابها

نجد أن هذه الخمر تطوف بنا في أجواء من القسم والأمن ، والوفاء بالوعود، واحترام الأشهر الحرم .. مما يجعلها في حال من الامتناع ، في الرحلة الحريصة عليها وعلى أمانها ، وبالارتباط بالعلو الديني وأعرافهم التي يتآلفون ويتجاورون عليها. ونجد أن سرد الشاعر لوصول هذه الخمر إلى مشتريها ، يحكي مشاق هذه الرحلة ، ويحكي عزة السلعة التي تستدعي الجوار والوصل مع الركبان ، وكونها بما لها من عرف في تقاليدهم تستدعي الحماية لتصل إلى سوق آمن هو سوق عكاظ ، حتى إذا

وصلت كان غلاؤها بارتفاع ثمنها ، وكانت قدرة من ابتاعها مشيرة إلى تفوقه على من سامها بالسوق من أولئك الذين عجزوا عن بيعها أو اغتصابها.

ولعلنا حين نستصحب ما سبق من حديث الشاعر عن الصرم ،وحال قلبه مع محبوبته، نجد أن القلق الذي يساور السائرين بها ، ينقل لنا ظلاً من قلق الذات على حبها ، وأن هذا الذي بذله حتى وصل بالخمر إلى الأمان ، هو أيضاً المُنْيَة التي يتمناها لهذا الحب المهدد بالصرم. وأن هذا النيل لهذه الخمر من عوائق الزمن والسفر وجودها التي تغري باغتصابها أو شرائها هو أيضاً ظل لهذا الحب المحاط بعوائق الحرمان ، وظل للعزم على مجاوزة كل ذلك للظفر بمعشوقته.

ثم يأتي مقطع مزج الخمر بالعسل ، وسرد حكاية الاشتيار في قوله: (٥٩)

بِأَرْيِ التي تَأْرِي لدى كل مَغْرِبِ   إذا اصفر لِيطُ الشمس حان انقلابها
بأري التي تأري اليعاسيبُ أصبحت   إلى شاهق دون السماء ذؤابها
جوارسها تأري الشعوفَ دوائبا   وتنصبُّ ألهابا مصيفا كِرابها
إذا نهضت فيه تصعَّد نَفْرَها   كقِتْر الغلاء مستدرّاً صِيابها
يظلُّ على الثمراء منها جوارس   مراضيعُ صُهْبُ الريش زُغْب رقابها
فلما رآها الخالدي كأنها   حصى الخَذْف مستقلا إيابها
أجدَّ بها أمرا وأيقنَ أنَّه   لها أو لأخرى كالطحين ترابها
فقيل تجنبْها حرامُ وراقه   ذُرَاها مبينا عرضُها وانتصابها
فأعلق أسبابَ المنيَّة وارتضى   ثُقُوفَتَه أن لم يخنْه انقضابُها
تدلىّ عليها بين سِبٍّ وخَيْطَة   بجر داء مثل الوكف يكبو غرابها
فلما اجتلاها بالإِيَام تحيَّرت   ثُبَات عليها ذلُّها واكتئابها
فأطيب براحِ الشأم صِرْفا وهذه   معتقة صهباء وهي شيابها
فما إن هما في صَحَفة بارقيّةٍ   جديد حديثٍ نحتها واقتضابها
بأطيب من فيها إذا جئتُ طارقاً   من الليل والتفت عليَّ ثيابها

وهنا نجد أننا أمام عوالم يتبدى فيها ما ذكرناه في مثل ذلك عند حديثنا

عن الاشتيار في نص أبي ذؤيب "أساءلت رسم الدار أم لم تسائل" ، تلك العوالم التي تشير إلى العزيز اللذيذ الماثل في هذا الاشتيار ، ولكن سنشير هنا إلى تعبيرات مختلفة ، وذات دلالة في توثيق الروابط التي تبدو في مقاطع النص في مثل:

١- التكرار في قوله "بأري التي تأري" حيث يضعنا هذا التكرار في بدء هذين البيتين المتعاقبين ، وفي بدء الدخول في حكاية الاشتيار ، قبل الحديث عن الخمر ومزجها ، ليعمق حالة التلهف إلى هذا العسل ، وليجعل الذهن في حالة من التلذذ بعمل النحل وهي تأري العسل ، أي تعمله وتشكله ، حيث تجد شغل النحل وعسله، قد ساغ في الكلمات المشيرة إلى هذا المزج ، وأصبح هو الذي يشكلها ، فهو الأري، وهي التي تأري ، الأمر الذي نجده يتسع عن أن يكون ذلك التكرار للكشف عن سيطرة فكرة السعي الشديد على عقل الشاعر كما فسره البربري(٦٠) .. ومع هذه اللذاذة التي تسوغ في بدء كل بيت منهما ، تجد الإشارة إلى رهق النحل "إذا اصفر ليط الشمس حان انقلابها" ، والإشارة إلى ارتفاع هذا اللذيذ في هذا المكان الشاهق "إلى شاهق دون السماء ذؤابها" لكي يكون الذهن في حال من إدراك مخاطر الإرهاق والموت التي تكتنف إنتاج هذا العسل أو الظفر به . وهذا الأمر يتأكد حين يصافحنا شقاء النحل في قوله :

جوارسها تأري الشعوف دوائبا وتنصب ألهابا مصيفا كرابها
إذا نهضت فيه تصعَّد نفرَها كقتر الغِلاء مستدراً صيابها

بحيث لا تنفك حركة الاشتيار عن "فكرة الجهد الخلاق الذي يصاحبه خطر ومعاناة"(٦١).

٢- الأبيات التي تشكل انتصار الإرادة على الخوف والتردد ابتداء من قوله "فلما رآها الخالدي.." إلى نهاية قوله "فأعلق أسباب المنية .."

حيث نرى ذكر المشتار في الموضع الوحيد من شعر الاشتيار ، عن طريق

نسبته "الخالدي" ثم عن طريق ذكر اسمه العلم "حرام" كما فسره بذلك الشراح ، مع إن النص يحتمل أن تكون كلمة "حرام" كلمة تعني الزجر ، والتوبيخ ، وإدخال هذا الفعل في دائرة المنهي عنه ، خاصة وأن النص يشير إلى حالة الذل والاكتئاب التي يعانيها النحل من جراء طرده عن عسله واغتصابه منه... ولعله يشير أيضاً إلى صوت العقل إزاء حالة المغامرة التي تدفع إلى إهلاك النفس ، خاصة وأن ذلك يتسق مع القول "تجنبها". وعلى كل فإن ذكر الخالدي يحمل توقيعاً إنسانياً محدداً على هذه الصورة ، يحمل ظلالاً مما يتعلق بلفظ "خالد" ونسبة الشخص إلى هذه الظلال ، مما يشير إليه ، من التماس مجاوزة الموت ، والتعويذ من الهلاك.

وحين ننظر إلى قوله "أجدَّ بها أمراً ..." ، نجد المشتار "الخالدي" ، أمام مخاطرة ، إما الموت وإما الظفر بهذا العزيز اللذيذ ، والشاعر يعمق هذا الموقف "أجدَّ بها أمراً" ، فالموقف موقف جد ، وهو أيضاً موقف يقين من عزيمة هذا الأمر ، فليس هناك تراجع إما العسل وإما الموت، فأصبحنا أمام حقيقة أن هذا العسل ينتزع من الموت ، وهذا الذي يقودنا إلى التعبير الدال الآخر في قوله "فأعلق أسباب المنية .." حيث تكون الحبال التي علقها أخذاً بأسباب النجاة من الموت مضافة إلى الموت ، لأن هذا الحبل هو آخر ارتباط بالحياة إن ثبت ، وإن قُطِع كان هلاكه ، ولذلك يظل الهاجس مسيطراً على الشاعر ، حتى وهو يجعل لهذا المشتار خبرة وثقافة ، إذ يقرن ذلك بعدم انقطاع الحبل ، فحديث الشاعر عن الحبل ودراية المشتار مجلل بالموت والخوف منه ، فالرجل أقام الحبل لينجو ، والشاعر يرى أنه أقام حبل الموت .. ويجسد لنا هذا القول ذلك الوعي الذي جسده أبو ذؤيب بالمنية وأسبابها وأظافرها في قوله الآخر: (٦٢)

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

ولقد جاء الضمير المؤنث "ها" في قوله "إن لم يخنه انقضابها" ، عائداً إما

إلى "ثقوفته" ، أو إلى "المنية" ، في إشارة في كلا الحالين إلى ذلك الإحساس بشدة وطأة المنية ومحاصرتها لأسباب النجاة ، وانقطاع حبل النجاة ، أو انقضاض المنية مثل الكوكب المنقض في تلك الصورة التي نجدها لمعنى "انقضب" في قول ذي الرمة في وصف ثور وحشي: (٦٣)

كأنه كوكب في إثر عِفْرِيَة مُسَوَّم في سواد الليل منقضب

أي منقض من مكانه.

ويتراءى لنا في صورة الموت وحباله هنا ما تراءى لنا في قوله في خاتمة المقطع الأول:

فقلت لقلبي يا لك الخير إنما يدليك للموت الجديد حُبَابها

حيث إن حبال الموت التي ترى الموت ماثلاً فيها في فعل المشتار ، تكشف تلك الحبال التي غابت في قوله "يدليك" وحضر فعلها ، فتبدو حركة المشتار صورة أخرى لعالم الموت الجديد الذي ارتهن فيه هذا القلب.

٣- استحضار صورة النحل عند الاشتيار في قوله :

فلما اجتلاها بالأيام تحيرت ثبات عليها ذلها واكتئابها

حيث تقف بنا هذه الصورة على حال النحل ، حين فقد الأمن وواجه اختطاف الجاني، في حال من الذل والهوان والاكتئاب.

ولقد وقف على هيئة الاشتيار في هذه القصيدة وهب رومية ، وأثار تساؤلات مشروعة ، وحافزة على البحث حين قال (هل نصدق أن "أبا ذؤيب" ، جاء بهذه القصة لتصوير ريق صاحبته ، وكيف يغذي هذا الشقاء المرير ، شقاء النحل، وشقاء العسال ، فكرة طيب الريق ، وماذا ينتفع هذا الريق بعدوان العسال على النحل ، أو بذل هذه النحل واكتئابها ، وهل تمزج الخمر بالعسل والماء حقا؟ ما هذا الطيب الذي يجمع الخمرة والماء والعسل ، ولا يقوى الإنسان على الوصول إليه

إلا بالمشقة والعدوان؟) ويشعر بكثرة تساؤلاته ،ويقطع الاستطراد فيها ليقول (ما أكثر الأسئلة ، وأقل الأجوبة! ولكن ألا يتضح كل شيء إذا كان هذا الطيب طيب الحياة وبهجتها؟ لا أحد يستطيع أن يظفر بحياة طيبة لذيذة الطعم دون مشقة وعناء ، ومغامرة محفوفة بالموت والمخاطر) (٦٤) وإذا كانت إجابته هذه وتفصيلها التالي بعدها، يتحرك من فكرة عامة ، فإن تأمل كل نص في تشابك علاقاته ، يضيء طريقاً لرؤية ما يربط وحدات النص بوحدة المشتار حيث رأينا بكاء الوجود الإنساني ،وشكوى الهجر والتمنع ، وحرص الشاعر ألا يفرط بحبها في نص (أساءلت رسم الدار أم لم تسائل) ، ورأينا شكوى الصرم ، وإصرار الشاعر على مجاوزة الخوف في هذا النص ، وأن في كلا وحدتي المشتار في هذين النصين ارتباطات مختلفة تتناسق مع ما قبلها ومع ما بعدها.

وفي نص ساعدة بن جؤية (هجرت غضوب ...) نجده يقول عن المشتار بعد إشارته إلى ريق محبوبته: (٦٥)

خَصر كأن رضابه إذ ذُقْتُه   بعد الهُدُو وقد تعالى الكوكب
أَرْيُ الجوارس في ذؤابة مشرف   فيه النسور كما تحبىَّ الموكب
من كل مُعْنِقَة وكل عِطافة   مما يصدِّقها ثواب يَزْعَب
منها جوارسُ للسَّراة وتأتَري   كَرَبَات أَمْسِلة إذا تَتَصوَّب
فتكشَّفَت عن ذي مُتُون نيِّر   كالرَّيْط لاهِفٌّ ولا هُوَ مُخْرَب
وكأنَّ ما جَرَست على أعضادها   حين استقل بها الشرائع مَحْلَب
حتى أُشِبَّ لها وطال إيابها   ذو رُجْلَة شَثْن البراثن جَحْنَب
مَعَه سِقاء لا يفرِّط حملَه   صُفْن وأخراص يلحن ومِسْأب
صَبَّ اللَهيفُ لها السُّبُوب بِطْغيَةٍ   تنبي العُقاب كما يُلَطُّ المِجْنَب
وكأنه حين استقل بريدها   من دون وقبتها لقا يتذبذب
فقصى مشارته وحطَّ كأنه   خَلَقٌ ولم ينشب بها يتسبسب

فأزال ناصحها بأبيض مُفْرَط   من ماء ألهاب عليه التّألَب
ومزاجُها صهباء فتَّ ختامُها   قَرِطٌ من الخرس القطاط مثقب
فكأن فاها حين صُفِّي طعمُه   والله أو أشهى إليّ وأطيب

نجد النص على الرغم من إشارته إلى الهلاك التي أشرنا إلى بعضها سابقاً ، يمتد في عالم النضارة والبهجة والعتاقة ، وصفاء المزج في العسل ، فالعسل في "ذؤابة مشرف" ، وجنيه من كل معنقة وكل عطافة صدقها المطر والسيل ثم إن هذا النص يقيم العسل في حال من التشكيل يعم الأمكنة والطريق وصورةَ التخيل التي يثيرها النص ، فكأنك تنظر إلى العسل في نضارته حين يقول "فتكشفت عن ذي متون ..." وكأنك ترى العسل في جرس النحل على أعضاده يتحلب ، فعلى الرغم من تفسير الشرح بأن "محلب" تعني حبة المحلب، (٦٦) وكذلك ابن قتيبة (٦٧) ، ولسان العرب (٦٨) ، فإن أخذ دلالة التحلب في الاعتبار بما تعنيه من سيلان ، وتصبب يجعلنا نعتبر هذا الأمر في دلالة كلمة "محلب" ، فننظر إلى النحل وهي تسير في هذه الشرائع محملة بما اشتارت ، ونتخيل ما ستعسله في معسلها. ولذلك تجد هذا الأمر يذكي لهلف المشتار.

ولعل ذلك يتسق مع المقطع السابق لمقطع الاشتيار حين امتد بصورة الشادن، وصورة البرق والسيل ، فكأن هذا العسل المشتار يقدم الصورة الأمل لهذا الحب الذي لا يرعوي في سبيله لصوت التعقل .

ما بعد الاشتيار :

يأتي ما بعد الاشتيار في شعر الهذليين مجليا حالة التيقظ ، والإرادة التي تثيرها حكاية الاشتيار ، ويمتد ذلك أحياناً لكي يعاود استحضار ما قبل هذه الحكاية ، فأبو ذؤيب في نصه "أساءلت رسم الدار أم لم تسائل" ، يقول بعد ختام الحكاية : (٦٩)

وَيَأْشبني فيها الذين يلونها   ولو علموا لم يَأْشِبوني بطائل
ولو أن ما عند ابن بجرةَ عندها   من الخمر لم تبلل لَهَاتي بناطِل
فتلك التي لا يبرح القلبُ حبَّها   ولا ذكرُها ما أرزمت أم حائل
وحتى يؤوب القارظان كلاهما   وينشرَ في القتلى كليب لوائل

يعود بنا هذا الحديث إلى فعل حركة الاشتيار فيما قبلها وما بعدها ، فلقد جاءت هذه الحركة لتحيي في الذهن والوجدان إرادة لا يقف دونها حائل في الوصول إلى العزيز الذي تتسامى لذته عن الحس والعيب ، وتجئ قبل ما تشير إليه هذه الأبيات من استقرار وإقامة أمام حبها، وجعلها الكتر الذي لا يقنع منه بما يأخذ، مما يجرد العلاقة معها عن الأخذ والعطاء، ليجعلها علاقة هانئة بالوصول إليها، والبقاء في حبها والثبات على ذلك، مما يجعل المتأمل حين يراجع حركة الاشتيار قبل ذلك، يستشعر حركة جهاد المشتار وامتزاجها مع حركة المحب لتظفر بعزيز يستحق التضحية التي صحبت مع الجهد بالنشوة واللذة.

وحين تأتينا مثل هذه الصورة عند أبي ذؤيب ، التي يقول فيها: (٧٠)

بأطيب من فيها إذا جئت طارقا   ولم يتبين ساطع الأفق المجلي
إذا الهدف المعزاب صوب رأسه   وأمكنه ضَفْو من الثَّلَّة الخُطْل

نجد أن هذه الصورة تستدعي حركة المشتار التي بعثت هذا التيقظ أمام حركة هذا الساكن الكسول، فحركة المشتار سرت في حركة الشاعر ، فإذا به يرينا حصوله على بغيته من المحبوبة ، تيقظاً وإرادة إزاء سكون وخمول من حولها. وعلى هذا تجئ الإشارات التي تشير إلى هذا السكون ، وتستدعي هذا التيقظ في مثل قول ساعدة : (٧١)

فذلك ما شبهت فا أم معمر   إذا ما توالي الليل غارت نجومها

ولعلنا في ضوء حركة التيقظ هذه ، نقرأ كيف ساء صرعَ الخمر معشوقةُ أبي ذؤيب ، وكأن شكوى أبي ذؤيب من حال موقفها تأكيد على التيقظ الذي يصاحب حركة الاشتيار ، يقول: (٧٢)

رأتني صريع الخمر يوماً فسُؤْتُها   بقُرَّان إن الخمر شعث صحابها
ولو عثرت عندي إذن ما لحيتها   بعثرتها ولا أُسيءَ جوابها
ولاهرَّها كلبي ليَبْعُدَ نفرُها   ولو نبحتني بالشكاة كلابها

ثم أن التعلق بالخمر ، وبلوغها صرع الشاعر ، يتسق مع ما حمله النص عن الامتداد في صورة الخمر ، ومتابعة جلبها التي جاءت مصاحبة لحركة الاشتيار.

وفي نص ساعدة : "هجرت غضوب .." نجد النص بعد حركة الاشتيار ، يشير إلى ثغر المرأة فيقول: (٧٣)

فكأن فاها حين صُفِّي طعمه   والله أو أشهى إليّ وأطيب

مقسماً على أن ثغرها هو طعم ذلك العسل.

ثم يستحضر صورة الفقد حين يقول : (٧٤)

فاليوم إما تُمس فات مزارها   منا وتصبح ليس فيها مَأْرب

ثم ينتقل النص إلى حركة الدهر في تفريق المتآلفين ، وأصحاب الأنس ليقول: (٧٥)

فالدهر لا يبقى على حَدَثَانه   أَنَسُ لِفيف ذو طوائفَ حوشَب
في مجلسٍ بيضُ الوجوه يَكُنُّهم   غابُ كأشطان القليب منصَّب

فهل كان الشاعر يقرأ أحداث الدهر ، وما يحدثه من تصدع وتفريق في حركة الاشتيار ؟

وهل طيب ثغر المرأة الذي احتشد النص لإذكاء لذاذته بهذه الحركة للمشتار ، هل ذلك انتزاع من يد حدثان الدهر؟

وهل تمنع العسل ، وإحاطته بعوالم الموت ، ونيله على الرغم من هذا صورة نقرأ فيها أنس الدنيا الذي لا يدوم؟

يبدو أننا حين نقرأ النص في ضوء تكامل وحداته ، نخرج بثراء للدلالات الشعرية لحركة المشتار ، استثمره الشعراء الهذليون ، ووظفوه في هذه العوالم التي يمتد إليها نصهم الشعري ، لأن هذه الحركة بعوالمها المتداخلة ، وبامتدادها في وحدات النص الأخرى ، ترينا قدرها على التحرك في اتجاهات متباينة. فالانتقال من طيب الثغر إلى شكوى حدثان الدهر يستحضر لنا انتزاع هذا الطيب وهذه البهجة بحركة الاشتيار. والسير إلى بلوغ الغاية في الوصول إلى المبتغى في حركة الاشتيار يكتنز بدلالة الأمل ، والسعي إليه الظاهر في الذوات الإنسانية الساعية في الحياة. والتأكيد على مواجهة الموت لدى المشتار هو وجه آخر لصورة الحياة المحاطة بالموت.

ولذلك وجدنا حركة المشتار تستقل في نص لأبي ذؤيب عن ثغر المرأة ، وتقترن بجهاد الحياة في نصه الذي يبدأ بقوله : (٧٦)

وأشعثُ مالُه فضلاتُ ثَوْلٍ   على أركانَ مهْلِكة زَهوق

ليجعل العسل ، مع كرمه ، مع سلاحه تلاد ذلك الرجل ، الذي رسمه النص مواجهاً للحياة بجسده وإرادته ، فمركوبه رجله التي يخترق بها المكان الذي لا يسلك يقول: (٧٧)

قليلٍ لحمُه إلا بقايا   طفَاطِف لحم منحوضٍ مشيق
تَأَبَّط خافةً فيها مساب   فأضحى يَقْترى مَسَداً بشيق
على فتخَاء تعلمُ حيث تنحو   وما في حيثُ تنحو من طريق

ولعل المتأمل لنصوص الهذليين التي تأتي فيها حركة الاشتيار حين يرى غياب الناقة التي يرحل على ظهرها الشاعر ، ويرى غياب ذكر حيوان الوحش الذي يواجه القلق والخوف والموت يدرك أن هؤلاء الشعراء وجدوا في حركة المشتار ما ينهض بديلاً لهذا الغائب ، حين وجدوا أن هذه الحركة تستقطب تلك المواجهة ، وأن ظلال

اللذة فيها مرهونة بانتصار الإرادة والعزيمة ، وأن تلك الحركة تنهض أيضاً باستثمار جهد النحل وتحصينه لمكانه ، واستثمار ذلك الفقد الذي عراه بفقد مقوم حياته. وهذا الأمر هو الذي يؤكد الترميز الذي يوظفه الشعراء في هذه الحركة حين نجد إحلاله محل رمز حيوان الوحش والناقة.

ومجيء هذه الحركة بضمير الغائب من الممكن أن نفسره ، بأن الشعراء أرادوا منه :

☐ أن يكون رمزاً للمواجهة ، ونيل العزيز اللذيذ ، بجعله في أفق من يخبر عنه ، من يُجَلَّى ليكون صورة لنموذج منشود هو (الأنموذج أو المثال الذي ينبغي أن يكون على حال معين في هيئته ، وسيماه أو في مخبره) (٧٨) .

☐ أو أرادوا أن يكون حاملاً لصورة من صور القدر والمواجهة، التي تتربص بالشاعر، وتقف دون بلوغه مرامه ولذائذه حين يرى الشاعر في شخص المشتار من ينتزع العزيز اللذيذ على الرغم من حصانة المكان فتكون صورة المشتار حين يتربص بالنحل، مثل صورة القدر الذي يتربص بحيوان الحوش، فيكون ظلاً آخر لحبه المصروم وحبه المفقود ، على نحو ما أشار ساعدة في قوله : (٧٩)

فاليوم إما تُمْسِ فاتَ مزارُها   منَّا وتُصبح ليس فيها مَأْرب
فالدهر لا يبقي على حدثانه   أَنَسٌ لفيف ذو طوائف حوشَب

* * *

الهوامش والإحالات

(١) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) : المعاني الكبير في أبيات المعاني : ٢/٦١٧-٦٢٨ الطبعة الأولى ، دار الكتب العملية ، بيروت ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.

(٢) أحمد كمال زكي : شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي :٨٦ وزارة الثقافة، مصر : ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م – القاهرة.

(٣) نورة الشملان : أبو ذؤيب الهذلي : حياته وشعره : ٧٧ ، جامعة الرياض سنة ١٤٠٠- ١٩٨٠م، الطبعة الأولى.

(٤) نشره في مجلة معهد المخطوطات العربية ، الكويت مج ٣٣/ج١ ، جمادى الأولى ١٤٠٩هـ يناير ١٩٨٩م ، من ص ١٤٩-١٦٨ ، ثم ضمه لأبحاث كتابه المعنون بـ (في أفياء الشعر منذ الجاهلية حتى آخر العصر الأموي – ضمن سلسلة كتاب الرياض العدد ٨١ ، ٨٢ ، أغسطس – سبتمبر ٢٠٠٠م.

(٥) انظر كتابه : ٣٣٩.

(٦) محمد أحمد بريري، الأسلوبية والتقاليد الشعرية– دراسة في شعر الهذليين، ١١٢، ١١٣ الطبعة الأولى ١٩٩٥م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية القاهرة.

(٧) السابق : ١٢٣.

(٨) جريدي سليم المنصوري، مشهد النحل في شعر الهذليين، مجلة جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية، بالقاهرة، العدد ٢١ ، ٢٠٠٣م (٨٨٢ – ٩١٩).

(٩) السابق : ٩١٢.

(١٠) ستأتي الإشارة إلى بعضها عند استعمالها في البحث.

(١١) سورة محمد ، آية ١٥.

(١٢) الضبي (المفضل بن محمد بن يعلى) : المفضليات : ٩٠ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة، لم يحدد تاريخ الطبعة ، وسيشار لهذا الأمر فيما بعد بـ (د.ت).

قيدته : ضربت فيه بإبرة ثم أسفته نؤورا.

(١٣) الديوان : ٥٠ دار صادر ، بيروت ، د.ت.

(١٤) الديوان : ١٦٣ ، تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي ، دار المعارف ، مصر ، د.ت ، شمذ بأعجازها: رافعات لأذنابها.

(١٥) أحمد كمال زكي : كتابه السابق : ٨٧.

(١٦) نصرت عبد الرحمن : الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي : ١٠٣ دار الفكر ، عمان ، ١٩٨٥م.

(١٧) السابق : ١٦.

(١٨) محمد السديس : كتابه السابق : ٣٤٠.

(١٩) جريدي سليم المنصوري : بحثه السابق : ٨٩٩ .

(٢٠) السابق : ٩١٢

(٢١) لقد ذكر الدكتور / محمد أحمد بريري في كتابه السابق أن مشتار العسل وشارب الخمر كائنان شعريان يجسد الشعراء من خلالهما مثلين من أمثلة المكابدة العنيفة التي تصاحب تطلع الإنسان إلى غايات عليا (ص ١١٨).

(٢٢) السكري (أبو سعيد الحسن بن الحسن) : شرح أشعار الهذليين ٩٢٦/٢ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مراجعة محمود محمد شاكر ، القاهرة د.ت ، وسيشار له لاحقا. بـ: السكري. وقد اعتمد عليه البحث لأنه مظنة أوفى ماوصلنا من شعر الهذليين .

(٢٣) السكري : ١٤١/١ وفيه : العوذ جميع واحدها عائذ ، وهي الحديثة العهد بالنتاج.

(٢٤) السكري : ٩٢٧/٢ وفيه شورة : حسن ، عنائب : يريد الشراب ، غياطل أصوات ونعيم.

(٢٥) وهب أحمد رومية : شعرنا القديم والنقد الجديد : ٣٣٣ ، عالم المعرفة ، الكويت عدد ٢٠٧ مارس ١٩٩٦م. وانظر كذلك : نوري القيسي : الطبيعة في الشعر الجاهلي : ٢١م الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(٢٦) السكري : ١٤٢/١– ١٤٥وفيه : يقال للعسل إذا كان فيه بعض الصلابة واليبس: ((قد استضرب العسل)) ويقال إذا اشتد بياضه. الطنف : حيد من الجبل.

(٢٧) السكري : ١١٠٧/٣ – ١١١٣ ، وسيأتي شرح لبعض هذه المفردات في موضع قادم.

(٢٨) السكري : ١١٣٨/٣ – ١١٤١.

(٢٩) السكري : : ٤٤/١ – ٥٤ وفيه : البالة وعاء الطيب ، اللطمية : منسوبة إلى اللطيمة وهي عير تحمل المتاع والعطر ، فإن لم يكن في المتاع عطر فليست بلطيمة ، عقابها: رايتها. ماء

النئ : أراد في صفائها ، وهو ما قطر من اللحم. الخمطة : التي قد أخذت طعم الإدراك ولم تدرك وتستحكم فهي خمطة ، والخلة : الحامضة ، ولا خلة أي في مجاوزة القدر ، خرجت من حال الخمر إلى الحموضة والخل.

(٣٠) السكري : ٩٣/١– ٩٧ وفيه : هوت بها : سارت ، هادية الضحل : صخرة تكون في بطن الماء يمر عليها الماء ، والضحل : الماء الرقيق ، فشبه ناقته بهذه الصخرة في صلابتها.

الحبل : حبل عرفة. تزغم : تصيح وتصوت من نشاطها. راداً : رائداً أي طالبا يبتغى المزج: يعني العسل ، بالسحل : أي ينقد الدراهم ، والسَّحل : النقد. الهدف من الرجال: الثقيل النؤوم الوخم الذي لا خير فيه. المعزاب : الذي تعزّب عن أهله في إبله ، صوب رأسه : نام، الضافي : السابغ الواسع ، من الثَّلَّة : يعني الغنم ، الخطل : الطوال الآذان.

(٣١) السكري : ٩٥١/٢ وفيه : اسفنط : اسم من أسماء الخمر ، جلس : طويلة. زرجون: كرم وهو فارسي.

وقال المجي (محمد الأمين بن فضل الله) في / قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل الزرجون : معرب (زركون) ، الكرم أو قضيبه (انظر ذلك : ٨٢/٢ تحقيق عثمان محمود الصيني ، مكتبة التوبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥– ١٩٩٤م).

الختر : الفتور والاسترخاء.

(٣٢) السكري : ١٨٠/١ – ١٨٣ ، وسيأتي شرح المفردات عند الحديث عن النص لاحقاً.

(٣٣) السكري : ١١٣٨/٣ – ١١٤١.

(٣٤) السكري : ٨٨/١ – ٩٧.

(٣٥) السكري : ١٠٩٧/٣ – ١١٢١.

(٣٦) السكري : ١٤٠/١ – ١٤٧.

(٣٧) السكري : ٤٢/١ – ٥٥.

(٣٨) هو النص المشار إليه في هامش رقم (٣٢).

(٣٩) السكري : ١٤٠/١ – ١٤٧ وفيه : السكن : أهل الدار ، سكانها ، الطفي : خوص المقل خاصة. المعاقل: منازل مرتفعة عن السيل. جامل : جماعة إبل العوذ : الحديثة العهد بالنتاج . فاستضل ضلاله : طلب منه أن يضل فضل : النياف : الطويلة العظيمة المشرفة، العطبول : الطويلة العنق ، الجمع ، عطابل.

(٤٠) السكري : ٤٢/١ – ٤٤ وفيه : ثلاثة أحوال : أفرق من بعلها وأهابها أن أواجهها بشيء تجرمت : انقضت ، حبابها: يريد حبها ، للموت الجديد : يقول : أستأنفت الموت استئنافاً.

(٤١) السكري : ١٠٩٧/٣ – ١١٠٣ ،وفيه حب من يتجنب : أي حب بها متجنبة إليّ ، يقال: ((لحب إلى بذلك)) ، و"لحب بفلان إليه" إذا قال : ما أحبه إلى ، وليك : قربك ، تشعب : تفرق ، الخرق: الصغير من الظباء : إذا فاجأته خرق وانقبض أن يعدو. أنف المسارب: مستأنف الربيع ولم يرع قبله ، بدوره : الدور فجوات وهي دارات تكون في الرمل ، يقرو أبارقه : هذا الظبي يتبع الأبارق : وهن جبال من حجارة وطين ، أو حجارة ورمل أبي وأيديها : يحلف بالهدايا ، سرفت يمينه : أي لم تعرف قدرها وجهلتها.

(٤٢) السكري : ١١٠٣/١ وفيه : أفعنك : تقول العرب : أفمن شقك هذا البرق ، ومن ناحيتك ولا زائدة.

(٤٣) يبدو أن (لا) ليست زائدة هنا ، لأن القول بزيادتها يفقد قيمة هذا التشكك الذي يضعه.

(٤٤) السكري : ١٤٢/١ – ١٤٥ . وقد سبقت الإشارة إلى معاني كلمة ضرب ،وطنف في البيت الأول في هامش رقم (١٩) ، وجاء في السكري عن بعض المفردات ما يلي : تُهال : تلزم الهول ، الريد : ما نتأمن الجبل ، فندر حرف منه نـــأتئ. الدروء : الشاحص من الجبل، الأجادل : الصقور، شديد الوصاة : أي يوصيهم بالجبل ، شدوه وأمسكوه واحتفظوا به ، نابل : حاذق، لم يرج لسعها لم يخف ولم يبالها ، فحط عليها والضلوع كأنها : حط : انحدر وضلوعه ترجف من الخوف وحذر السقوط كأنها سهام قد نصلت منها قطبها ، والسهم إذا فيه نصل لم يستقم في ذهابه واضطرب ، فشبه اضطراب ضلوعه بذلك ، فشرجّها : مزجها وخلطها : اللصب : الشق في الجبل ، الشنان : البارد الذي يسيل من الجبل ، يشتن من الجبل.

(٤٥) السكري : ٤٨/١–٥٠.

(٤٦) السكري : ١١١١/٣

(٤٧) السكري : ١٨٠/١

(٤٨) السكري : ٩٥١/٢

(٤٩) السكري : ١١٤٠/٣

(٥٠) السكري : ٥٢/١

(٥١) السكري : ١١٢/٣

(٥٢) السكري : ٥٣/١

(٥٣) السكري : ١١١٢/٣ ، وفيه : ناصحها : خالصها ، أبيض مفرط : أي غدير ، اللهب: مهواة في الجبل. التألب : شجر

(٥٤) السكري : ١٤١/١

(٥٥) السكري : ١٤١/١

(٥٦) السكري : ١٤٢/١

(٥٧) السكري : ٤٠/١–٥٥

(٥٨) السكري ٤٤/١ – ٤٨ وفيه : حتى تبينت ثقيفا : أي رأتهم ،وقدم بها الأمن وأدخلت عكاظ ، الزيزاء : ظهر منقاد ، غليظ مرتفع من الأرض ، الإشاء : النخل ، أبناء آل معتب: من ثقيف ، أحكمتهم : منعتهم من نفسها وامتنعت وغلت جدا ... حاولته : يقول الخمر حاولت ذلك الربح فأصبحت تكفت ، أي تقبض أثمانها ، تكفت : تضم وتقبض وترفع ، تكفت : تحول في الآنية.

ولقد علق عاطف جودة نصر على نسبة الخمر ، فقال (وربما دلّ ولع الخمريين بهذه النسبة المكانية على طبيعة أصيلة ، في الشخصية العربية التي كانت تميل إلى البحث عن أصالة النسب والتثبت من الأعراق سواء كان نسب أشخاص أو خيول ، أو خمور (انظر كتابه : الرمز الشعري عند الصوفية : ٣٣١–٣٣٢ الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٧م).

(٥٩) السكري : ٤٨/١ – ٥٤ وفيه : يقول : هذه الخمر ممزوجة بالعسل ، والأري : عمل النحل وهو العسل. المغرب : كل موضع لا ترى ما وراءه . إذا اصفر ليط الشمس : ليس لها ليط وإنما هو لونها ، والليط القشر من كل شيء . اليعسوب : رأس النحل وأميرها. الجوارس : الذكور ، الجرس : أكل النحل الثمر والشجر ، الشعوف : رؤوس الجبال. يقول: تأخذ من الشعاف ثم تنصب .. وتنزل إلى (الإلهاب) وهي جمع لهب ، مثل لصب ، وهو الشق تراه في الجبل ، فهي باردة ، تصطاف فيه ، ولا يصلح العسل إلا في أرض باردة،

تصعد نفرها : أي شق عليها ، أي شق على نفر منها وأفتره وجهده لطول الجبل. القتر : نصال سهام الأهداف ، مستدر : ذاهب ، صيابها : قواصدهـــا ، وعن ابن حبيب : نفرها ، طيرانها : الثمراء : هضبة يقال لها الثمراء شق الطائف ، مما يلي السراة . وقال بعضهم : شجر مثمر كأنها حصى الخذف : في صغرها ، مستقلاً أي مرتفعاً . (ويبدو أن استقامة المعنى لا تتأتى إلا على حمل المشبه ((حصى الخذف تهوى)) على حالة الصوت (الطنين) ، فيكون حال هذه النحل في ارتفاعها وسرعتها لا تسمع إلا طنين صوتها مثل حصى الخذف وهي تهوي). فقيل تجنبها حرام : قيل للخالدي اجتنها يا حرام ، وهو اسمه ، ذراها : أعلاها ، أعلى المشهدة حين طرقها بالشمع وفرغت منها ، وعرضها : يعني عرض الشهذة ، وعن ابن حبيب : ذراها : الوقبة التي فيها العسل، فأعلق أسباب المنية : يقول : فعلق حباله ، وتدلي إليها ، لأن النحل تأتي الجبل فتعسل في ملقة ملساء في وسط الجبل ، في موضع لا يصل إليه أحد .. فيأتي الشائر ، ...فيصعد من وراء الجبل حتى يصير في أعلاه ، فيضرب وتده ثم يشد الحبل بالوتد ، ثم يتدلى عليها حتى يصل إلى الصخرة. ثقوفته : لباقته بالعمل الانقضاب: الانقطاع ، الخيطة : دراعة يلبسها المشتار ، السب : أن يضرب وتداً ثم يشد فيه حبلاً فيتدلى إلى العسل ، الوكف : نطع ، الإيام : دخان الثبات : جمع ثبة وهو القطعة من القوم ومن كل شيء.

فأطيب براج الشام صرفا معتقة صهباء ،وبهذه الشهدة.

(٦٠) أحمد بريري : كتابه السابق : ١٢٢

(٦١) السابق : ١٢٢

(٦٢) السكري : ٨/١

(٦٣) ابن منظور : لسان العرب : قضب

(٦٤) وهب رومية : كتابه السابق : ٣٣٤

(٦٥) السكري : ١١٠٧ – ١١١٣ ، وفيه كما تجي الموكب ، يقول : هم محتبون قد نزلوا ، المعنقة ، الطويلة عطافته منحناه ثواب : موضع ما يثوب الماء أي يتجمع فيه ، يقول: كأن أري الجوارس خلط بهذه المعنقة فصدقها ، يقول : يصدق تلك المخيلة هذا الماء. الكربات :

مواضع فيها غلظ ، الأمسلة : بطون الأودية : المتون طرائق ببعض من عسل شببها بالربط من بياضها ، الهف : الخالي الذي ليس فيه شيء.

المخرب : الذي ترك من التعسيل فيه ، أعضادها : أجنحتها تحمله عليها. محلب: يريد أنها مثل حبة محلب ، الشرائع : الطرائق في الجبل ، أشب لها : أتيح لها ذو رجلة : صبور على المشي ، مجنب : قصير قليل شتى : خشن ، الصفن : شيء فيه أدائه ، أخراص : أعواد يخرج بها العسل الطغية : شمراخ من شماريخ الجبل ، المجنب : الترس والملطوط : المستوى : اللقا : ثوب خلق وقبتها : خرقها من أعلاها إلى أسفلها (وهي موضع النحل في الجبل).

يتسبب : ينسل. القطاط : الجعاد ، مثقب : يقول : قد ثقبت أذناه والخرس : العجم الذين لا يفقهون الكلام ، القرط : يقول عليه قرطة : يعني الخمار.

(المأب : سقاء ضخم ، ابن قتيبة : كتابه السابق : ٦٢٢)

(٦٦) السكري : ١١١٠/٣

(٦٧) ابن قتيبة : كتابه السابق : ٦٢٢

(٦٨) ابن منظور : لسان العرب : حلب

(٦٩) السكري : ١٤٧/١٤٦/١ وفيه : يأشبني : يقذفونني ويخلطون عليّ الكذب. الطائل: الشيء له فضل : يقول : إنما نلت منها النظرة وما أشبهها. أرزمت : حنت وصوتت.

(٧٠) السكري : ٩٧/١

(٧١) السكري : ١١٤١/٣

(٧٢) السكري : ١/ ٥٤ ، ٥٥

(٧٣) السكري: ١١١٣/٣

(٧٤) السكري: ١١١٣/٣

(٧٥) السكري : ١١١٤/٣ وفيه : أنس لفيف : أي جماعة كثيرة ، طوائف : نواح ، يقول: هم كثير لا تجمعهم محلة واحدة ، حوشب : منتفخ الجنبين. يكنهم : أي يظلهم من الشمس ،

غاب : يقول فوقهم الأجم ، والغاب : جمع غابة ، والغابة : الأجمة ، يعني من الرماح ، كأنها أجمة من كثرتها ، منصب : مركوز ، الأشطان : الحبال.

(٧٦) السكري : ١/١٨٠ – ١٨٣

(٧٧) السكري : ١/١٨٠ ، ١٨١ وفيه : الطفاطف : ما استرخى من جانبي بطنه عند الخاصرة ، المنخوض القليل اللحم ، الخافة : سفر كالخريطة مصعدة ، قد رفع رأسها للعسل.

مساب : أراد مسأب : وهو سقاء العسل : يقتري : يتتبع ، المسد : الحبل : الشيق: أعلى الجبل ، الفتحاء : رجله لا أعوجاج فيها أو لين.

(٧٨) محمد السديس : كتابه السابق : ٣٥٠

(٧٩) السكري : ٣/١١١٤